في رحاب السيّدة

مقالات وكلمات كُتبت في مناسبات سيدتنا العفاف النبوي

فاطمة الزهراء وابنتها زينب الحوراء

عليهما السلام

بقلم

يحيى غالي ياسين

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وآله وصحبه المنتجبين ..

هذه مجموعة من الأبحاث والمقالات ، كُتبت في مناسبات مختلفة لسيدتي العفاف النبوي ، سيدة نساء العالمين ، أم أبيها ، فاطمة الزهراء صلوات الله عليها ، وابنتها الحوراء ، عقيلة الطالبيين ، سيدتنا زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام ..

تناولنا فيها بعض الأفكار الخاصة بمناسبات هاتين السيدتين الجليلتين وشخصيتهما عليهما السلام وبشكل يسلط الضوء على زوايا مهمة وحساسة .. وألحقنا ذلك بكتابات تتناول موضوعة المرأة وموضوعة العفاف عموماً ..

غايتنا رضا الله تعالى ورضا رسوله ص وآله واهل بيته الكرام ، ورضا القارىء الكريم .. ولله الحمد أولاً وآخرا

يحيى غالي ياسين

صعوبات يواجهها قارىء حياة الزهراء عليها السلام

قراءة حياة المعصوم تختلف عن قراءة باقي سير الشخصيات التاريخية او العلمية او الدينية .. الخ لأسباب اهمّها هي ان قراءة حياة المعصوم تترتب عليها في الغالب اعتقادات واحكام ووظائف عملية .. الخ ، وطبعاً هنا لا اتحدث عن المطالعة العامة او القراءة التي يراد منها مستوى متواضع من الثقافة ، وإنما اتكلم عن القراء المخوّلين بالتعامل مع النص الشرعي ومن لديهم صلاحية استظهاره ، وعن القارىء الباحث والدارس لسيرة المعصوم والمتدبر بها والمستقصي لدقائقها ، ما خفي منها وما ظهر ..

وقراءة حياة السيدة الزهراء ع تتضمن كل تلك المحددات والمقوّمات والمميزات الخاصة بقراءة حياة المعصومين ع عموماً وتزيد عليها ببعض الاختلافات والصعوبات :

+ منها كونها امرأة ، ونقل حياة المرأة تاريخياً يختلف نوعاً وكماً عن حياة الرجل الذي يعيش وسط المجتمع وغير منزوي عنهم ، وتحفظات الرجل الفعلية والكلامية اقل من المرأة خاصة اذا كانت المرأة مثل الزهراء ع التي تعمل على قاعدة : خير للمرأة ان لا ترى الرجال ولا الرجال يراها ..

+ ومنها قصر حياة الزهراء ع اصلاً ، فهي لم تجتز عقدها الثاني بأبي هي وأمي ، وبالتالي قلة مادة السيرة نسبة لو كان عمرها خمسين او ستين سنة ..

+ ومنها ان حياتها تترتب على بعض مفاصلها نتائج كبيرة وخطيرة في الاسلام ، ولنقل ان القارىء النوعي لحياة الزهراء سيجد نفسه أمام قرار حاسم وخيار قاصم ..

+ ومنها ان الكثير من النصوص تشير الى مقامات عالية جداً لها صلوات الله عليها مما يجعلها سراً من اسرار الكون وحلقة وصل بين حقائق كبيرة فيه ، تتعلق بوجوده وغايته ، مما يجعل القارىء يشعر بعدم القناعة وعدم الاكتفاء بكل معنى يتبادر له او مفهوم يستنتجه ، فهي حجة الحجج بنص المعصوم وعلة الخلق كما نفهم من نصوص اخرى ..

في ذكرى شهادتها

كيف وماذا نقرأ عن السيدة الزهراء

كثيرةٌ هي الكتب والبحوث والمقالات التي تناولت حياة الزهراء عليها السلام وسيرتها سرداً وتحليلا .. الا انه على القارىء الواعي والنبيه ان يسأل نفسه باستمرار ماذا عليه ان يقرأ من تلك الكتابات الان ..! وأي منها يختار ..! وكيف يقرأ ما سيختار .. ! الى آخر الاسئلة التي تتدفق لديه حول القراءة الجيدة والمطلوبة ..

وطبعاً فإن قراءاته السابقة ومستجداته الذاتية والمحيطة به وتغيّر انماط وانساق وضعه كقارىء ومثقف ومهتم .. تتدخل كلها في صياغة الاجابة الصحيحة عن الأسئلة المتولدة تلك، وتضع له فهرست مبكر لقراءته قبل الشروع بها ..

فمثلاً : ضمن الوعي البشري المعاصر والظروف التي تعيش بها المجتمعات الانسانية ، فهل ينبغي لنا ان نقرأ الزهراء من حيثية انها (بنت نبي الله) فقط ..! او من حيثية (زوجة ولي الله وأم اولياء الله) ..! ، ام من حيثية (ايتها المظلومة المغصوبة .. المضطهدة المقهورة ..) .. ؟ ام لا ، بإعتبار أن كل ذلك يعتبر قراءة اولية لأهداف انبل واسمى تتمثل بصفتها (سيدة نساء العالمين) أو بصفتها (حجّة الحجج) ..؟

لا شك ان قراءة الزهراء بهذه الحيثية الاخيرة هي اهم واشمل ، انفع وانجع بكثير من تلك الجزئيات .. فعندما نقرأ عنها كسيّدة فإننا اذن نقرأها كقوانين بشرية وأوامر انسانية وحزمة تشريعات الهية .

من المناسب وفق هذه الرؤية مثلا ان نراجع اقوال الزهراء واحاديثها ، افعالها وعبادتها وعفافها وسائر شؤونها من حيثية انها سيّدة وان قولها وعملها حجّة واجب الاتّباع .. عندما نقرأ الزهراء بهذا اللحاظ ومن هذا المنطلق نكون قد تقدمنا خطوة الى الأمام في معرفتها ورفع مظلوميتها ، فهؤلاء الذين اغتصبوا حقها كانت غائبة عنهم تلك المعرفة الدقيقة او لنقل حاولوا تغييبها ..

الان لنغيّر بوصلة الكلام ونجعله من حيثية اخرى ، فبدلاً من توضيح القراءة الجيدة من جهة المقروء فلنرَ القراءة من جهة القارىء كيف وماذا تكون ..؟ وهل

ينبغي أن نقرأ الزهراء بعين الفرد ، اي باعتبار القارئ فرداً ام نقرأها من عين المجتمع وكوننا نحمل هموم أمّة .. ؟

والفرق شاسع وكبير في طريقة القراءة ومقدار فهمها واقتطاف نوع وكمية ثمراتها ، فعندما نقرأ في سيرتها ونحن مسؤولون عن معالجة قضايا مجتمع ونبحث في حياتها عن دواء ليكون ترياقاً لأمراض اجتماعية واخطاء مصيرية في مسيرة البشرية ستكون الغلة مختلفة ما لو قرأتها بتكليف فردي لا يتعدى حدودي الخاصة .

يقول تعالى عن ابراهيم ع (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) اي كان يقوم مقام أمّة .. وهذا هو الشخص (القارئ) الرسالي في الواقع فهو يمثل جماعته وأمته ، فيستهلك نفسه فيها ويذوب في المجموع ولا يرى لنفسه شيئا ، فلنقرأها بعين المُصلح لا الصالح وبعين الواهب لا " الناهب " ..

وعين القارئ هذه مكمّلة لعين المقروء تلك والتي قلنا عنها انها سيّدة وانها شخصية عامّة ولم تكن مجتزئة بحال من الاحوال ..

سلام الله على الزهراء وعلى قرّاء الزهراء قراءةً واعية مُجدية ورحمة الله وبركاته ..

تصرّفي كسيّدة وفكري كرجل

تعيش أغلب نساء الغرب عقدة الإرتباط برجل صالح لهنّ وتشكيل أسرة سعيدة وناجحة رغم نجاح أكثرهن في العمل والوظيفة ..

هذا ما يصرّح فيه بوضوح الممثل الكوميدي الأمريكي المشهور (ستيف هارفي) في كتابه المترجم الى العربية (تصرفي كسيدة وفكري كرجل) ..

ويتحدّث الكاتب عن سبب تأليفه للكتاب وكيف أنه أكتشف بأن الأسئلة والمشاكل التي توجّه اليه في برامجه المباشرة الإذاعية والتلفزيونية - وأكثرها من النساء - ينبغي أن تُعالج بجدية وليس بفكاهة كما هو هدف برامجه ..!

فكرة الكتاب تتلخص بالتالي : أنّ مشاكل النساء - في الغرب - سببها عدم معرفتهن لما يفكر فيه الرجل ، والذي يفاقم المشكلة هو أنهن يأخذن الاستشارة من نساء مثلهن لا يعرفن كيف وماذا يفكر الرجل ..! ، ولهذا فسوف لا يحصلن على الحلول الناجعة لمشاكلهن .. ويبقى الوضع على ماهو عليه من السوء ..!

قدّم الكاتب بعض النصائح الجيدة ونجح في تقديم بعض الأفكار التي تجول في خلد الرجال عامة والرجل الغربي بالأخص ، وأعتبرها - وبعضها كذلك فعلاً - مجسّات التعامل مع الرجل وأن مراعاتها من مقوّمات العلاقة الناجحة المنتجة لأسرة سعيدة ..

أقول : تفكير المرأة بعقلية الرجل أمر ناجح جداً داخل المساحة التي تتعامل بها المرأة مع الرجل ، وهنا استحضر الرواية التاريخية التي تتحدث عن دخول نبينا الأكرم على ابنته سيدتنا الزهراء - سلام الله عليهما - وكيف تحجّبت عن الرجل (الأعمى) ، وعند ذلك أستفسر منها صلوات الله عليه عن سبب تحجّبها رغم أنّ الرجل أعمى - وكم من سائل عن أمره وهو عالم - !! فكان جوابها : ان كان لا يراني فإنني أراه وهو يشم الريح .. فما كان من النبي ص واله إلا ان يقول لها : (اشهد انك بضعة مني) .

هنا الزهراء ع فكرت بعقلية رجل وتصرفت كسيدة ، فتأثر الرجل بريح المرأة يشعر به الرجل بحسب الطبيعة ..

المرأة في الغرب ينقصها الأسوة الحسنة اولاً ، وتشريعات السماء لها ثانيا .. أما المرأة المسلمة فعليها التأسي بقدوتها سيدة النساء عليها السلام وأن تلتزم بتشريعات الإسلام .. وكذا الرجال فيما يخص التزاماتهم اتجاه المرأة واتجاه أسرهم واهلهم ..

حياة الزهراء بعد أبيها

أهمُّ تأريخٍ في الإسلام

(١)

لدراسة حياة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها رسول الله ص وآله وحتى وفاتها - رغم القصر الشديد لهذه المدة - أهمية تاريخية كبرى لمن يريد أن يعرف حقائق ودقائق عملية انتقال دفّة القيادة العليا في الإسلام من الرسول الى " الخلفاء " من بعده .

للزهراء عليها السلام شخصية إسلامية عظمى ، فبإنتسابها المباشر للنبي من جهة والنص عليها بنصوص إسلامية صحيحة وصريحة - قرآنية وروائية - من جهة أخرى .. تأهلت هذه الشخصية لأن تكون بوصلة اسلامية مهمة وأحد المحاور الرئيسية التي يدور حولها الحق وأهل الحق .. وكل من حاول أن يتجاهل رمزية الزهراء وعلاماتها الفارقة التي وضعتها في طريق الإسلام بعد وفاة الرسول ص وآله فإنه أما معاند واما مغرر به وبالتالي سوف لن يجد غير التيه والضلال سبيلا .

ولهذا السبب تعرضت السيدة الزهراء الى محاولات شيطانية هدفها طمس شخصيتها المهمة هذه والتوهين من خصوصيتها ، فهؤلاء قبل أن يقتلوا الزهراء شخصاً حاولوا أن يقتلوها شخصيةً .. لأنهم يعرفون أن هذه الشخصية ستُفشِل كل مخططاتهم الشيطانية هذه وتهدم الباطل الذي أسسوا عليه بنيانهم من القواعد ..

لا أعرف كيف يتعامل المسلمون مع قول رسول الله ص وآله بحق فاطمة ع والثابت في كتب الصحاح عندهم : " فاطمة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها " .

فهل هكذا أحاديث تخرج من رسول الله في حياته من أجل أن يعمل بها المسلمون في حياته ..! خاصةً مع المخدّرة فاطمة التي تعمل بقاعدة : خير للمرأة أن لا ترى الرجال ولا الرجال يراها ..! هكذا روايات بحق فاطمة هي ليست للتعاملات الشخصية الضيّقة مع الزهراء ، ولم يؤسسها صلوات الله عليه من أجل علاقات اجتماعية وقتية .. وانما هي خطوط عامة للمسلمين أرادَ منهم أن يسيروا عليها ، هي عبارة عن أسهم واتجاهات تضبط حركة الاسلام وتحدّ من انحرافاته ..

عندما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) - لفاطمة (عليها السلام) : " إن الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك " ، فهو يتكلم عن صفة الهية وعقيدة ثابتة تتجاوز حتى حدود المسلمين .. في كلام ليس هنا محلّه .

على المسلمين وغير المسلمين ، على الكتاب والباحثين ، على كل طالب حقيقة .. أن يحقق في أهمية شخصية الزهراء وثقلها في الإسلام ووظيفتها الإلهية فيه .. ثم يقرأ تأريخها بعد حياة أبيها .. وليعطِ نتيجته بكل تجرد وموضوعية وإنصاف ..

(٢)

اتصفت حياة الزهراء ع في الفترة الواقعة بين وفاة النبي ص وآله ووفاتها عليها السلام والتي لا تتجاوز ال ٩٥ يوماً في أقصى مدة محتملة (٢٨ صفر - ٣ جمادى الاخرة) بصفتين واضحتين لمن قرأ هذه الفترة من حياتها الشريفة قراءةً تحليلية ، وهما : الحزن الشديد والرفض القاطع .

أما الحزن ، فقد حزنت سلام الله عليها حزناً كبيراً على فقد أبيها صلوات الله عليه وبكت بكاءً كثيراً حتى عُدّت من البكائين وحتى اشتكى منها اهل المدينة لعلي عليه السلام مما اضطرّ الإمام الى ان يجعل لها بيتاً للأحزان بعيداً عن أسماع أهل المدينة .. فهي المخاطبة قبر أبيها :

فلأجعلن الحـزن بعـــــدك مؤنسي

ولأجعلن الدمــــــع فـــيك وِشاحيا

وأما الرفض ، فقد رفضت عليها السلام خلافة ابي بكر لأبيها رفضاً قاطعاً واعترضت على ما آلت اليه أمور المسلمين وإعراضهم عن وصية أبيها وانحرافهم عن خط السماء .. أمرت بالمعروف ونهت عن الجريمة الكبرى التي اقترفها القوم ولم تألوا جهداً في ذلك ، فنسمعها تقول :

" .. ويحهم أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوّة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطبين بأمور الدنيا والدين ؟! (أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) . وما الذي نقموا من أبي الحسن .. نقموا والله منه نكير سيفه ، وقلّة مبالاته لحتفه

، وشدّة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمّره في ذات الله ، وتالله لو مالوا عن المحجّة اللائحة ، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة ، لردّهم إليها ، وحملهم عليها ، ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم حشاشه ، ولا يكلّ سائره ، ولا يملّ راكبه ، ولأوردهم منهلاً نميراً ، صافي روي ، تطفح ضفتاه ، ولا يترنق جانباه .. الى اخر كلامها صلوات الله عليها .." .

لم تنفصل العاطفة عند الزهراء عليها السلام والمتمثلة بحزنها الشديد على أبيها عن وظيفتها الإيمانية والرسالية في رفض الباطل ووعي خطورة المرحلة التي يمر بها الإسلام وعظم الجريمة التي أُرتكبت . فلقد وجّهت كلتا الصفتين بإتجاه ترسيم ملامح سور جديد يُحيط بمساحة الإسلام المحمدي الأصيل ويُفصله عن تلك السلسلة المتوالية من الانقلابات التي استشرفها القرآن الكريم من قبل ، قطب هذه المساحة هو بعلها وخليفة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام ، دافعت عن نقاء وحصانة هذه البقعة الطاهرة من الأسلام بكل وجودها وجعلتها تتسع لكل المسلمين بعد أن اعطتهم الرمز السحري للإنضمام ، هذا الرمز هو ذلك الشعار والقانون الذي رفعته وجعلته حلاّ لكل مشكلة وقعت : " طَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ وَ إِمَامَتَنَا أَمَاناً لِلْفُرْقَة " ، بهذه المسؤولية الكبيرة نهضت الزهراء ع في هذه الفترة القصيرة وأجادت أدائها بكل قوة وأمانة .

(٣)

قلنا فيما سبق من كلام في هذه السلسلة أن القوم بعد أن ادركوا أهمية الزهراء في الاسلام ووظيفتها العامة فيه وأن رضاها وغضبها علامة بارزة لرضا وغضب الله تعالى ورسوله وأنها بهذا الأمر تمثل بوصلة اسلامية كبيرة .. سعوا أولاً الى قتل هذه الصفة ومحاربة هذه الشخصية المحورية قبل أن يقتلوا شخصها عليها السلام ..

واتبعوا في سبيل ذلك عدداً من الخطوات واتخذوا عدداً من القرارات الخطيرة واستعملوا اكثر من اسلوب ..

فالجريمة التي حصلت عند باب بيت الزهراء لم تكن عبارة عن شجار وقع بين فئتين ، ولم يكن خلافاً بين جارين كما يحصل احياناً بين ابناء المنطقة الواحدة ..

وانما ما حصل في هذه القطعة الزمانية والمكانية هو عملية شرخ عسيرة ومؤلمة في جسد الأمة الواحدة والعقيدة الواحدة ، هذا الألم وهذه العسرة وقعت في أعلى درجاتها على بيت علي والزهراء خاصة .. هكذا ينبغي أن ننظر الى الأمور .. فكما ننظر الى حوادث الاعتداء على الانبياء من قبل اقوامهم من حرق وصلب ونشر .. الخ بأنها حروب عقائدية ، فكذلك ما حصل على باب الزهراء الذي قال عنه رسول الله (باب فاطمة بابي وحجابها حجابي) بأنها حرب عقائدية ..

الوقوف أمام هذا الباب والتجرؤ على أهله .. وعدم الاكتراث بمن كان يقف خلفه حتى و " إن " كانت الزهراء - كما قال كبيرهم - ... ! ، وجَمْع الحطب وحرقه ودفع الباب بقوة حتى يُكسر ضلع فاطمة ويسقط محسنها ، والدخول الى بيت من بيوتات النبي عنوةً واعتداءً ، ثم يطئوا ريحانتي رسول الله ، الحسن والحسين ، واقتياد رب هذا البيت مكبّلاً .. كل هذا هو محاولة لطمس شخصية أصحاب هذا البيت وتوهين أمرهما في الأمة وبالتالي افساد تأثيرهما على ما يريدون ان يتخذوه من اجراءات باطلة وشيطانية في الاسلام ..!

كان علي بن أبي طالب يدرك ذلك كله ، ويدرك أن هوية وشخصية الاسلام كلها مهددة ولا يقف الأمر عند هوية وشخصية بيته .. ووجد أن الصبر وتحمل المصائب هو أهون الشرين ويفضي الى أقل الخسائر فصبر وفي العين قذى وفي الحلق شجى كما يقول في خطبته عليه السلام

(٤)

لا ندرس التأريخ من أجل التأريخ نفسه بقدر ما ندرسه كعلم يُنتزع من أحداثه حقائق مطلقة تتجرد عن عامل الزمان والمكان ، وتنأى بنفسها عن الجزئيات لتكون عبارة عن مفاهيم كلية لا تنتمي الى طرف دون طرف الا بقدر المصداق والالتزام ..

وتأريخ فدك هو تابع لهذه الفلسفة المتوخاة من دراسة التأريخ عموما ، فرمزيتها كبيرة وترقى لأن تكون شاهداً مصدّقاً لحقّ مهتضم وخلافةٍ مغتصبة وفقهٍ مُخالَف وقرآنٍ مهجور في الإسلام ..! عندما نقول فدكاً فإننا نختصر كل مصائب الإسلام ونختزل كل آثار النفاق بعد رسول الله ص وآله ..

ليست فدك تلك البقعة الغنية بماءها وزرعها والتي تبتعد عن المدينة المنورة بما يقارب ال ١٤٠ كم وقد تنازل عنها اليهود للمسلمين بعد هزيمتهم في خيبر كجزء من ثمن شراء سلامتهم ، وأنها بهذا الأسلوب الاستحواذي تكون تحت تصرف النبي يهبها لمن يريد على خلاف ما لو تم الاستحواذ عليها بخيل أو ركاب - في تفصيل فقهي ليس هنا محله - .. وانما فدك هي تلك القشّة التي كانت ولا زالت قاصمة لظهر الباطل وأهله لمن بحث عن الحق بكل وعي وضمير ..

رمزية فدك أصبحت لأهل البيت ع واتباعهم أهم من فدك التاريخية ذات الزمان والمكان المحددين ، ولهذا لم يسع أهل البيت بعد ذلك لاسترجاعها وحتى عندما آلت الخلافة لأمير المؤمنين ع ، فنراه يقول عنها عليه السلام [بَلَى ! كَانَتْ في أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّماءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْم ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ ، وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَك وَغَيْرِ فَدَك ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَد جَدَثٌ ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا ، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا ..] .

ومن بليغ ما ورد في علل الشرائع : عن أبي بصير ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، قال : قلت له : لِم لَم يأخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) فدكاً لمّا ولي الناس ، ولأيّ علّة تركها ..؟ .. فقال : لأنّ الظالم والمظلوم قد كانا قدما على الله عزّ وجل ، وأثاب الله المظلوم ، وعاقب الظالم ، فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه غاصبه ، وأثاب عليه المغصوب .

وبنفس المصدر ايضا : عن عليّ بن الحسن بن فضّال ، عن أبيه عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال : سألته عن أمير المؤمنين (عليه السلام) لِم لَم يسترجع فدكاً لمّا ولي الناس ؟ فقال : لأنّا أهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممّن ظلمنا ، إلّا هو - يعني إلّا الله - ونحن أولياء المؤمنين، إنّما نحكم لهم ، ونأخذ حقوقهم ممّن ظلمهم ، ولا نأخذ لأنفسنا

(٥)

كل يوم بل كل لحظة من حياة الزهراء ع بعد فقد أبيها صلوات الله عليه مهمّة وتشير الى حقيقة من حقائق حادثة الانقلاب على الأعقاب التي تنبأ به القرآن الكريم (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ

يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) ال عمران ١٤٤ ، وأنها تشير الى جانب من جوانبه ..

فكل ما سبق الإشارة إليه من أحداث في تأريخ حياتها بعد النبي ص وآله : حزنها وحرق باب بيتها وغصب حق زوجها في خلافة أبيها ومنعها نحلتها فدك وحرمانها من إرث أبيها وتجاهل حقّها ومقامها وفضلها في الإسلام .. كل واحدة من هذه الأوراق تشكل ملفّاً كاملاً يضع النقاط على حروف جريمة الانقلاب ويفصح عن تفاصيلها ويشير الى مرتكبيها بالأسماء وينبىء بمآسيها المترتبة عليها ..

وهنا في هذا الحلقة نضيف ورقة مرضها صلوات الله عليها لتضاف الى اوراق مصائبها الجلل .. قال سُوَيْدُ بن غفلة : لمّا مرضت سيّدتنا فاطمة عليها السلام المَرْضة التي توفّيت فيها ، اجتمعت اليها نساء المهاجرين والأنصار ليَعِدْنَها ، فقلن لها : يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علّتك ؟ فحمدت الله وصلّت على أبيها صلى الله عليه وآله ثم قالت: " أصبَحتُ واللهِ عائِفَةً لدنياكم ، قالِية لرجالكم ، لَفَظْتُهُم بَعدَ أنْ عَجَمْتهُمْ وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أن سَبَرْتُهُمْ ، فَقُبحاً لفُلولِ الحدِّ واللَّعبِ بَعدَ الجِدِّ ، وقَرْعِ الصَّفاةِ ، وخَوْرِ القَناةِ، وخَطَلِ الرّأيِ وزَلَلِ الأهواءِ . وَبِئسَ ما قَدَّمَتْ لهم أنفُسُهم أنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيهِمِ وفي العذابِ هُم خالدون . لا جَرَمَ واللهلَقَدْ قَلَّدَتْهُم رِبْقَتهاوَحَمَّلَتْهُم أَوْقَتَها وَشَنَنْتُ عَلَيْهِ غارتها ، فجَدعاً وعَقراً وسُحْقاً للقوم الظالمين ...

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها عليها السلام على رجالهن فجاء اليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين ، وقالوا : يا سيّدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد لما عَدَلنا إلى غيره .

فقالت : " إلَيْكُمْ عَنيّ ! فَلا عُذْرَ بَعْدَ تَعذيرِكُم وَلا أمْرَ بَعْدَ تَقصيرِكُم " .

والسؤال هنا : ما هو مرض الزهراء ع ..؟ هل قرأتم انها اشتكت من مرض معين ، مزمناً كان أو عارضا ..! لم يكن مرض السيدة في جسدها رغم جراحها في حادثة الباب ..! بقدر ما اشتكت من حزنها وكمدها ، وهي التي صرّحت لأم المؤمنين أم سلمة عندما دخلت لتطمئن على صحتها عندما سألتها : كيف اصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله ..؟ فأجابتها عليها السلام : " أصبحت بين كمد وكرب ، فقد النبي وظلم الوصي .. " ، هذا هو مرض الزهراء ع الذي ألحقها بأبيها صلوات الله عليه .

وكما هو واضح أنها في أشدّ حالات مرضها ومعاناتها لم تتهاون في الدفاع عن الاسلام والإفصاح عن عدم رضاها عن كل ما جرى بعد أبيها وأقامت الحجة البالغة على القوم ، وأنها في عبارتها الأخيرة (.. ولا أمر بعد تقصيركم) قد أغلقت الباب وأكملت الملفّ الذي سترفعه معها شاكية الى الله وإلى رسوله ..

(٦)

وصلنا الى آخر محطة من حياة الزهراء ع في هذه السلسلة والتي كتبناها على أساس فكرة رئيسية واحدة تتمثل بإستنطاق حياة البضعة وجعلها دليلاً مهمّاً إن لم يكن قاطعاً ونهائياً على أحداث كبرى وقعت في الإسلام بعد رسول الله ص وآله ، ومن خلال تحليل هذه الفترة يستطيع المسلم أن يشخّص الأخطاء الفادحة والإنحرافات الخطيرة التي حصلت ، ومعرفة مرتكبيها والمخططين لها بكل يسر وسهولة بعد تحقيق مسألة حجية الزهراء في الإسلام ومحورية رأيها وقَبولها ورفضها ورضاها وغضبها ..

فارقت الزهراء الحياة وهي واجدة (غاضبة) على أشخاص كانوا سبباً بكل مصائبها والتي هي بالتالي مصائب الإسلام والمسلمين ، ورافضة لأفعالهم الشنيعة وبدعهم التي ابتدعوها وأجبروا المسلمين على اتّباعها ..

وكما أنها - صلوات الله عليها - عبّرت عن كل هذا الغضب والرفض في حياتها بتعابير صريحة ومخزية لأصحابها ، أرادت أن تعبّر عن ذلك في مماتها ايضا ، فرفضت عليها السلام أن يشهد جنازتها الطاهرة تشييعاً ودفناً كل من آذاها ، ورفضت أن يعرف موضع قبرها كل من شارك في قتلها ، فلنسمع ولنتمعن في وصيتها لامير المؤمنين ع ولنقرأ ما بين أسطرها :

" أُوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني ، فإنّهم عدوّي وعدوّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا تترك أن يصلّي عليَّ أحد منهم ولا من أتباعهم ، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار) " .

ثمّ قالت (عليها السلام) : " (يا بن العمّ ، إذا قضيت نحبي فاغسلني ولا تكشف عنّي ، فإنّي طاهرة مطهّرة ، وحنّطني بفاضل حنوط أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وصَلِّ عليَّ ، وليصلِّ معك الأَدنى فالأَدنى من أهل بيتي ، وادفني ليلاً لا نهاراً ، وسرّاً لا جهاراً ، وعفَّ موضع قبري ، ولا تشهد جنازتي أحداً ممّن ظلمني " .

يـا روحَ أحـمـدَ فـي جـنـبـيْـهِ كـامـنـةً

وقـطـعـة مـن أبـيـهـا لـيـسَ يـنـفـصمُ

مـاذا أقـولُ بـمـنْ ضِـلْـعٌ لها كُـسِرَتْ

لـمّــا أتى الظالمونَ الدارَ يـقـتـحـمـوا

وأسـقـطـتْ مـن وراءِ الـبـابِ مِنْ ألمٍ

جـنـيـنـهـا بجروح لـيـس يـلـتـئـم

فداكِ نـفـسـيَ يـا زهـراءُ مـفـجـعــةً

ربّــاه أنــتَ مِــنَ الـظُّـلامِ تـنـتـقــمُ

شـلّـتْ يـمـيـنـك يا مَنْ آذى فـاطـمـةً

أيـنَ الـمـفـرُّ إذا الـمـخـتــارُ مـخـتـصـمُ

إن الـذي رفـعَ الأصـواتَ فـوقــهـــمُ

فـأنّــهُ يُـحـبـطُ الـحـسـنـى فـتـنـعــدمُ

فكيف مَنْ راح يؤذي المصطفى جَنَفاً

فـي روحِـهِ بـيـنَ جـنـبـيْـهِ فـتـهـتـضـمُ

مَـن كان يسعى إلـى إيـذاءِ عـتـرتِـــهِ

فـلـعـنــةُ الله فـي الـداريــنِ إذ لـهــمُ

صلى الإلـه عـلـيـهـمُ أيـنـمـا ذُكِـروا

فـهـمْ وسـيـلـتُـنـا فـي الحشر نـعـتـصمُ

رَبّـاه فـأقـبـل لـنـا هـذا الـقـلـيـل عسى

آثـامـنــا بـعـطـاءِ الله تــنـــهــــدمُ

من قواعد الاقتداء بالسيدة الزهراء ع

كلنا يعلم أن السيدة الزهراء ع حجة الله بل حجة الحجج كما في الخبر ، فقولها وفعلها وتقريرها يعتبر ديناً يُدان الله تعالى به ويُتقرب به اليه جلّ وعلا ، غير أن ثمّة بعض الأسس والاصول التي ينبغي توفرها على المقتدي بالزهراء ، كي يكون اقتداءه هذا صحيحاً ومنجياً ومنتجاً للثمرة ، وسنحاول هنا الإشارة الى بعض تلك الأسس وبإختصار شديد :

* المعرفة : معرفة الزهراء ع هو أول أصول الإقتداء وأهمها ، فأول الدين معرفته كما يقول امير المؤمنين ع ، وقد يظن البعض ان المعرفة تعني العلم وهو ليس كذلك ، فبين العلم والمعرفة فرق مهم ودقيق ، فالعلم هو مجرّد خزن المعلومة وإنطباع صورتها بالذهن بغض النظر عن مستوى التصديق والإيمان بها ، بينما المعرفة تعني الإيمان والأعتقاد الكامل بالمعلومة ، والعلم كذلك ليس بالضرورة ان يكون العالِم به عاملاً بما يعلم بينما العارف لا يكون عارفاً إلّا ان يكون عاملاً بما يعرف ومتأثراً بمعارفه ومنعكسة على حاله وأفعاله وأقواله ، والعلم كذلك طريق الحصول عليه تقليدي بينما المعرفة تحتاج الى ان تتحول تلك المعلومة الى نور يقذفه الله في قلب صاحبها ..

اذاً ، واجبنا اتجاه السيدة الزهراء ع أولاً هو المعرفة - وكل بحسب اناءه واستحقاقه - بسيرتها ومقاماتها وكراماتها وأهدافها وأسرار حركتها وسكنتها ، لا فقط كسب المعلومة وخزنها في الذاكرة ..

* الأصل والأساس الثاني والمهم من أسس الاقتداء بالزهراء ع هو أنّ هذا الإقتداء بسيدة النساء إذا أردناه على تمامه وكماله ينبغي ان يكون حالة عامة للمجتمع ولا يقتصر على فرد دون آخر ، فإن الاقتداء بهكذا شخصيات اذا كان مقتصراً على المستوى الفردي والشخصي فإنه نوع ظلم وتضييق لها وعدم اعطاءها حقها وبالتالي ظلمها على مستوى الاستفادة الاكمل منها ، وهذا هو حكم الاسلام نفسه ، فالإسلام ليس ديناً فردياً بقدر ما هو دين أمم وشعوب .. وسيرة أهل البيت ع هو الإسلام العملي والتطبيقي في قبال الإسلام المسطور في الكتاب والسنة . فهذه دعوة اذن الى أن يكون الاقتداء بالسيدة الزهراء حالة عامة للمجتمع وسيرة أمّة .. وبعدها سنرى ماذا ستفعل الزهراء عليها السلام في حياتنا .

* الاقتداء لا يعني تقمّص الشخصية : قد يعتقد البعض أن الاقتداء بشخصية معينة (أي جعلها قدوة وأسوة) يعني تقمّص شخصية القدوة ومحاولة القيام بمشهد تمثيلي يعيد مسلسل حياتها وسيرتها ، وهذا خطأ واضح وفادح وخاصة في معنى ومفهوم الاقتداء الاسلامي .. فالإسلام لا يدعو الى استنساخ الشخصية بقدر التحلّي بخصائصها وصفاتها الإيجابية والسير على نهجها بإعتبارها حجّة شرعية نأخذ منها ديننا ونتأسّى بها في دنيانا ..

من فلسفة الحجاب في الإسلام

الزهراء ع انموذجا

مسألة الحجاب من المسائل الفطرية عند الإنسان ، ذكراً كان أم أنثى .. وهذا ما تقرّه لنا الآية القرآنية الكريمة التي تتحدث عن أولى مراحل التكوّن الجديد للإنسان بعد حادثة غواية الشيطان له وأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها ، قال تعالى (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ) ..

فلم توضّح الآية ثمّة أمر إلهي بتغطية السوءة وإنما هو ناتج عن حاجة متأصلة بالتكوين الجديد للإنسان وأنّ الحياء هو عبارة عن شعور فطري ينطوي عليه .. امّا ما هي علاقة أكل الشجرة بإثارة هذا الشعور والتنبيه الى هذا النقص فهذا له بحثه الخاص ..

نعم ، يفترق حجاب الرجل عن حجاب المرأة فيما يخص جسدهما في المساحة فقط تقريباً ، فحياء الرجل يقتصر على مساحة اقل من مساحة حياء المرأة على جسدها والتي قد تصل احياناً الى 100% ..

وفي لقاء متلفز مع السيد المرجع محمد حسين فضل الله - قدس سره- تسأله فيه مقدمة البرنامج حول سبب فرض الإسلام الحجاب على المرأة .. فيفاجئها بسؤال : هل تستطيعين خلع جميع ملابسك أمام أنظار الناس ..؟ فأجابت بكلا .. فقال لها اذن نحن متفقون على أصل الحجاب ومختلفون في كمية المساحة التي ينبغي ان يغطيها من الجسم ..!

☆☆

مفهوم الحجاب في الإسلام أوسع من قطعة قماش تغطي بها المرأة شعرها أو جسدها ، ومن الخطأ حصره بذلك ، ومن السذاجة ان يُنظر له كتقييد للحرية الشخصية أو ما شاكلها ، وهذه النظرات غير الصحيحة للحجاب ناتجة عن الخطأ في فهمه وعدم الإطلاع على تعدد أشكاله في الاسلام .

الرجل كزوج هو أحد أهمّ أشكال حجاب المرأة ، وكذا الزوجة بالنسبة لزوجها ، قال تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ) ، بهذا التعبير الدقيق (هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن) ، يقول صاحب الميزان (الظاهر من اللباس معناه المعروف ، وهو ما يستر به الانسان بدنه ، والجملتان من قبيل الاستعارة فإن كلا من الزوجين يمنع صاحبه عن اتباع الفجور وإشاعته بين أفراد النوع فكان كل منهما لصاحبه لباسا يواري به سوأته ويستر به عورته) ..

وللصوت حجابه في الاسلام ايضاً ، قال تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) ، وتخضعن بالقول هو ~ ترقيق الكلام وتليينه مع الرجال بحيث يدعو إلى الريبة وتثير الشهوة ~

الحجاب في الإسلام لا يحرّم الزينة على المرأة سواء كانت الطبيعية (الخلقية) منها او المكتسبة وإنما يقنن هذه الزينة ويمنع ابتذالها ويرسم لها حدودها ومساحتها التي ينبغي ان ينحصر ظهورها بها ، قال تعالى (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ..

الحجاب احياناً كثيرة يكون درعاً للمرأة من سهام ونبال مؤذية توجّه إليها ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) فبيّنت الآية صراحةً الحكمة بقولها (فلا يؤذين) ، في الميزان (أي لا يؤذيهن أهل الفسق بالتعرض لهن) ..

من هذا التعدد نفهم أن الحجاب هو مفهوم ينطبق علىّ كل ما يحفظ المرأة من أذى مرضى القلوب وضعاف النفوس ، والحجاب هو كل ما يرفع من قدر المرأة ويمنع ابتذالها ، والحجاب هو كل ما يجعل من زينة المرأة مُلكاً لا يحق لكل أحد إستعماله او التصرف به ..

♤♤

الحجاب في الإسلام هو جزء من نظام تشريعي متكامل ، يعمل هذا النظام على بناء شخصية الفرد وشخصية المجتمع وتهذيبهما وإعدادهما بالشكل الذي يرتقي

بهما الى مستوى الأهداف والغايات المتعلقة بوجودهما في هذه النشأة او في قابل العوالم والنشئات الأخرى ..

ولهذا فعلى مستوى التكليف الفردي لا تكره المرأة على الحجاب رغم مأثوميتها ولكن لتعلّقه بنظام اجتماعي عام وتأثر الأخير سلباً به يأتي الإكراه هنا .. وثنائية التكليف الفردي والاجتماعي معمول به حتى في المجتمعات غير الدينية ، فالغرب مثلاً يسمح لمواطنيه تعاقر الخمرة كونها حرية شخصية ولكن لا يسمح لهم قيادة السيارة والسائق مخمور لتعلق الأخيرة بنظام عام ليس حكراً لفرد دون آخر ..

وأصل حكم الحجاب هو تفاعلي ، بمعنى لا يكون ناجزاً حكمه الا عند وجود موضوعه وهو الناظر الآخر غير المستثنى بنصّ ، مما يؤكد تميّز جنبته الجماعية على الفردية ..

ولعلّ الآية المباركة التي نظّمت تعامل المسلمين مع نساء النبي هي واضحة في حكمة المردود الإيجابي للحجاب على المستوى الفردي والاجتماعي ، قال تعالى (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ) فطهارة القلب هي من بركات الحجاب على الطرفين ، فما بالك بالسافرة او غير المحتشمة التي تتمشى في الأماكن العامة فماذا ستعمل في نفسها والمجتمع ..!

♤♤

لم يتفرد الإسلام بتشريع الحجاب ، وانّما اجتمعت على فرضه الأديان والأعراف الاجتماعية من سالف الأزمان ، يقول (ويل ديورانت) في كتابه قصة الحضارة : إذا خالفت امرأةٌ شريعةَ اليهود ، كأن تخرج بين الناس مكشوفة الرأس أو تغزل في الشارع العام أو تتجاذب أطراف الحديث مع أية طبقة من الرجال أو كانت ترفع صوتها في بيتها بحيث يستطيع جيرانها سماعها ، فقد كان لزوجها في تلك الحالات أن يطلقها بغير أن يدفع لها مهرا .

وتمثال مريم العذراء الموجود في مشارق الأرض ومغاربها (الذي هو بلا شك تم نحته ونصبه بإشراف المؤسسة الدينية) دليل صارخ على فرض ارتداء الحجاب

في النصرانية ، كيف لا وهي عليها السلام ركن من أركان الثالوث المقدس عند الديانة المسيحية ، وكذلك الراهبات المسيحيات ، فزيهنّ معروف ومشهور بوجود غطاء الرأس واستعمال الملابس الفضفاضة ، بل هو مفروض على النساء عند بعض الطوائف المسيحية ، وبعض الكنائس تُلزم ارتدائه عند ممارسة الطقوس العبادية الى الآن ..

وكذلك جاء في دائرة المعارف الكبرى حول الحجاب في اليونان القديمة (إن عمران المملكة اليونانية كان سببها عدم اختلاط المرأة مع الرجل في ميادين العمل وكن يشتغلن في بيوتهن ويغالين في الحجاب لدرجة أن الدية - القابلة - لا تخرج من دارها ألا محفورة - هكذا وجدتها - ووجهها ملثم باعتناء وعليها رداء طويل يلامس الكعبين وفوق كل ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها) .

وكذلك العرب قبل الاسلام ، فكانت الرجال تغطي رأسهم العمائم التي تسمى بتيجان العرب واما النساء فلهنّ الخمار ..

فدعوات نزع الحجاب في العقود المتأخرة هي البدعة الانسانية المخالفة لوجود البشرية بعموديه الزماني والمكاني على هذه الأرض ، وما التحجج بالحرية والمساواة الاّ مغالطات يوهمون بها عقول الذين طغت اهوائهم وغرائزهم وتمكنت منهم شهواتهم لا اكثر ..

♤♤

من إحدى أهم مفردات المنهج الاسلامي في إيصال عقائده واحكامه وتشريعاته وزرع بذرة الايمان بها وتحبيب الناس اليها هو ارسال وإعداد القدوة والأنموذج الكامل لتلك العقيدة وذلك الحكم او التشريع ، وأعظم قدوة نصّبها الاسلام لنا وبنص قرآني هو الرسول الاكرم صلوات الله عليه وعلى اله (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) ..

وأهل بيته عليهم السلام هم على رأس من اقتدى بشخصية النبي ص واله حتى أصبحوا نسخة ثانية منه ، قولهم قوله وفعلهم فعله ، رضاهم رضاه وسخطهم سخطه ، وحازت الصديقة الزهراء على أعلى مستويات الإنصهار والذوبان بشخصية أبيها حتى أصبحت بضعة منه وروحه التي بين جنبيه ، يدور رضا وسخط النبي مدار رضاها وسخطها وهذا ما أجمع عليه المسلمون جميعاً .. فهي بهذا المقام

قدوة إسلامية وانموذج إيماني ، قولها وفعلها وتقريرها حجة ، بل هي حجة الحجج كما ورد ..

وفي موضوع الحجاب خاصةً يكون الاقتداء بالزهراء أوضح وأبين ، كيف لا ويقول الرسول ص وآله بحقها : باب فاطمة بابي وحجابها حجابي .. (وكأنه بأبي هو وأمي يتنبأ بما سيحصل بعده بهذا الباب واي حرمة سينتهك بها هذا الحجاب) ..

الحديث عن حجاب الزهراء عليها السلام حديث دقيق وعميق وشيّق نسأل الله عز وجل ان يوفقنا للوقوف على اعتابه ..

فمن جملة مواقف حصلت مع الزهراء ع ونصوص صدرت عنها نفهم انّ حجاب المرأة في الإسلام يبدأ من روح المرأة وفطرتها وطبيعة بناء شخصيتها وقناعتها التامة والكاملة به وبمعتقداتها وسائر التزاماتها .. والاّ فكيف نفسّر تعاملها مع الرجل الضرير (ابن ام مكتوم) وبحضور أبيها ص واله ، حيث اتخذت كافة إجراءات الإحتشام حتى سألها أبوها بأنه ضرير فقالت : إن كان لا يراني فإنني أراه وهو يشمّ الريح ، فأعجب جوابها النبي صلى الله عليه واله وسلم وقال لها : (أشهد اهنك بضعة مني) ..

أنظر الى هذا الحجاب الفاطمي : (إن كان لا يراني فإنني أراه) وهل هو إلا حجاب الروح قبل الجسد ، حجاب رصين كأنه الدرع الحصين تحمي المرأة فيه نفسها ودينها وتشترك في تحجّب الآخرين منها ، وقد عززت هذه الفكرة صلوات الله عليها عندما قالت : خير للمرأة أن لا ترى الرجال ..

ولا يُفهم من ذلك حرمة النظر الى الرجال وهذا ما لم يقل فيه مسلم ولا فقيه وإنما نتكلم عن كمال الحجاب وتمامه عند الزهراء عليها السلام والذي يرتفع عند الإستثناءات والضرورات كما سنبينه لاحقاً ..

♤♤

قلنا أن الزهراء عليها السلام هي المؤسِسِة للحجاب العالي الدقة والشديد الحصانة للمرأة والذي ينصّ على قاعدة : خير للمرأة أن لا ترى الرجال ولا الرجال يراها .. وأن المرأة تحتشم من الضرير لأنها هي التي تراه .. غير أننا نجدها في مواطن اهخرى تضع هذه القاعدة كأولوية ثانية عندما تتطلب وظيفتها كمسلمة وحاملة لهدف رسالي أن تخرج وتخطب على الرجال وتؤدي ما عليها كما ينبغي ..

الاّ انها لا تتنازل عن المستويات العالية للحجاب إلاّ بحدود الضرورة وبمقدار ما يؤدي الغرض لا أكثر وهذا ما نجده جلياً في خروجها على القوم ، فالرواية التاريخية

تصفها وصفاً دقيقاً بحيث إستطاعت أن تجتهد بأشكال أخرى للحجاب عند الخروج عوضاً عن ذلك الشكل الذي تنازلت عنه إضطراراً (الحضور بمحضر الرجال) ..

وأحاول هنا انّ أرتب حجاب الزهراء عند خروجها لأبي بكر وبوجود القوم كما ورد بنقاط :

1. تقول الرواية (لاثت خمارها .. تطأ أذيالها) ، والخمار غطاء الرأس .. أي أنها لم يظهر منها شيء من رأسها الى قدميها بحيث تطأ ثوبها من زيادة طوله عليها ..

2. (أقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها) ، أي لم تخرج للرجال وحدها ..

3. (ما تخرم من مشية رسول الله) ، وأعتقد أنها غيرت مشيتها وتشبهت بمشية رجل لأن مشية المرأة قد تكون فيها فتنة .. واختارت من الرجال أباها لتقلّد مشيته ..

4.(فنيطت دونها ملاءة) ، أي ضرب بينها وبين الرجال ستر يفصلها عنهم ..

5. (فأنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء) ، هكذا افتتحت الكلام ، أدارت عقولهم وعواطفهم وهيئتها بما هي تريد ..

لاحظوا إلى الإجراءات الإحترازية التي اتخذتها الزهراء عليها السلام كحجاب يمكّنها من أداء وظيفتها الرسالية وبدون ايّ خسارة تذكر للعفّة (بمستواها العالي والدقيق) : (ستر كامل لشخصها الكريم + الخروج مع مجموعة نساء + تمشي كرجل لا كإمرأة + وضعت بينها وبين الرجال ستراً وحاجزا + نقلت اليهم حزنها وألمها لينظروا اليها بمنظار المظلومية) .. ! سلام الله عليها

♤♤

لا ينبغي ان تكون مسألة الحجاب من المسائل الخلافية الكبيرة بين الإسلام والغرب ، ولا داعي أن تكون سبباً لأزمات بين الطرفين ، وليس من اللائق أن يكون الحجاب سبّة الغرب على الشرق ولا السفور سبّة الشرق على الغرب بقدر ما هو يمثل حرية إعتقاد وإلتزام دين وخصوصية مجتمع .

فبالرغم من كون نزع الحجاب هو أمراً طارئاً على المجتمعات الغربية إلا أنه أصبح الآن عندهم هو الأصل للأسف الشديد بفعل التيارات العلمانية والإلحادية والإباحية والتي دخلت لهم تحت عناوين مرتجلة لا علاقة لها بالحجاب والتهتك كالحرية والمساواة ... الخ

والفقه الإسلامي في هذا الجانب واقعي وموضوعي جداً في التعامل والتعايش مع تلك المجتمعات ، فترى الفقهاء مثلاً يفتون بجواز النظر الى ما تعارف ظهوره من المرأة عند تلك الشعوب بشرط عدم احتمال الوقوع بالمحظور ..

ونظرة خاطفة الى الفارق في طبيعة الحياة الأسرية بين المجتمعين ، والى الفرق بين ا٥حصائيات الأمراض الغريبة والمستعصية المتعلقة بالعلاقات غير الأخلاقية بين الجنسين ، وإلى إحصائيات جرائم التحرش والاغتصاب والاجهاض والإنجاب من غير اب معروف .. الخ ، عندها ستبرز لنا أهمية الحجاب وحكمة الستر ومبغوضية التهتك ..

فتشير بعض آخر الإحصائيات أنّ (في الولايات المتحدة 83% من الفتيات اللاتي تراوح أعمارهن بين 12 و 16 عامًا شهدن نوعًا من التحرّش الجنسي في المدارس العامة ، في حين تعاني واحدة من كل خمس نساء تراوح أعمارهن بين 16 و 59 عامًا من بعض أشكال العنف الجنسي في إنكلترا) ..

نحن نعتقد أنّ تأصيل ثقافة التستر والإحتشام في الغرب ودقة الا٦لتزام بذلك من قبل المجتمعات الإسلامية ستكون له مردودات إيجابية ملموسة لا نحصل عليها في التقدّم التكنولوجي ولا الرفاهية الإقتصادية ولا غيرها ..

شكراً لكم ووفقنا الله جميعاً لما فيه كل خير وصلاح

من أيام الشيعة .. (أيام شهادة الزهراء ع)
٨ ربيع الثاني ، ١٣ جمادى الأولى ، ٣ جمادى الثانية

ثلاثة أيام يحييها المسلمون من أتباع أهل البيت عليهم السلام ، وهي الروايات الثلاثة الواردة في تأريخ وفاة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام :

الرّواية الاولى : تنصّ على أنَّ استشهادها عليها السلام كان في الثامن من شهر ربيع الثاني ، وبناءاً على هذه الرواية تكون الزهراء عليها السلام قد بقيت بعد أبيها أربعين يوماً ، وعلى ذلك تكون وفاتها في (٨) ربيع الآخر على المشهور من وفاة النبي (ص) ، وعليه فعمرها ينقص شهرين و (١١) يوم عن (١٨) سنة .

مصدر هذه الرواية :

- تاريخ مواليد الأئمة (مواليد الأئمة : ص١٠)
- دخائر العقبى : ص٥٢ .
- كشف الغمة : ج٢ :ص٧٧ .
- عيون المعجزات :ص٤٧ .
- العمدة : ص ٣٩٠ .
- كتاب سليم بن قيس في (ص٣٩٢) .
- البحار: ج٤٣ : ص ٧ .
- مجمع النورين : ص ١٥٤ .

الرّواية الثانية : تنصّ على أنَّ استشهادها عليها السلام كان في الثالث عشر من جمادي الاول ، وبناءاً على هذه الرواية تكون الزهراء عليها السلام قد بقيت بعد أبيها خمساً وسبعين يوماً ، ووفق هذا التاريخ يكون عمرها (١٨) سنة تنقص شهر (٧) أو (٦) أيام .

مصدر هذه الرواية :

- صحـيح أبي عبيـدة في الكافي (ج١ ، ص ٢٤١ ، ح ٤) .
- بصائر الدرجات (ص ١٧٤) .
- الاختصاص عن عبد الله بن سنان (ص ١٨٣) .
- الخرائج (ص ٥٢٦) .

الرّواية الثالثة : تنصّ على أنَّ استشهادها عليها السلام كان في الثالث من جمادي الثاني ، وبناءاً على هذه الرواية تكون الزهراء عليها السلام قد بقيت بعد أبيها خمساً وتسعين يوماً.

مصدر هذه الرواية :

- اختار هذه الرواية الطبري في دلائل الإمامة (دلائل الإمامة: ص ٤٦ ، ٤٥) .
- السيد ابن طاووس في (اقبال الاعمال) .
- الشيخ المفيد في (مسار الشيعة : ص ٥٤) .
- الشيخ الطوسي في (مصباح المتهجد : ص٧٩٣) .
- الشيخ الطبرسي في (تاج الأئمة : ص ٢٢) .
- إعلام الورى ص ٣٠٠ فصل ٣) .
- النمازي في (سفينة البحار : ج ٢: ص ٨٥) .
- المرندي في (مجمع النورين : ص ٥١) .

من أيّام الشيعة

٢٠ جُمادى الآخرة (ولادة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها)

● روى الطبري الإمامي (توفي بعد عام ٤١١ هـ) في (دلائل الإمامة) بسنده عن الإمام الصادق ع قال : (ولدت فاطمة في جُمادى الآخرة ، اليوم العشرين منها ، سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله، فأقامت بمكة ثمان سنين) دلائل الإمامة ١٠ .

وعندما نعرف أنّ عمر الرسول ص وآله عند المبعث كان أربعين سنة ، وأن مكوثه صلوات الله عليه في مكة بعد البعثة كان ١٣ عاماً ، عندها نعرف أن سنة ولادتها عليها السلام هي الخامسة من البعثة .

● ولكن : قال الشيخ المفيد (336 هـ / 948م - 413 هـ / 1022م) في حدائق الرياض أن مولد السيدة الزهراء ع كان في السنة الثانية من المبعث ، وتبعه بذلك تلميذه الشيخ الطوسي (385 - 460هـ / 995 - 1050 م)في المصباح ، ونقل الطوسي ايضاً في المصباح رواية اخرى تقول بالسنة الخامسة ونقل بأنّ العامة تروي سنة ولادتها في السنة الخامسة قبل البعثة .

● وبسند متصل إلى المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام : كيف كان ولادة فاطمة عليها السلام ؟ فقال :

« نعم إنّ خديجة عليها السلام لما تزوّج بها رسول الله صلّى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكّة فكن لا يدخلن عليها ولا يسلّمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلّى الله عليه وآله فلمّا حملت بفاطمة كانت فاطمة عليها السلام تحدّثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلّى الله عليه وآله فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة عليها السلام فقال لها : يا خديجة من تحدّثين ؟ قالت : الجنين الذي في بطني

يحدّثني ويؤنسني ، قال : يا خديجة هذا جبرئيل [يبشرني] يخبرني أنّها انثى وأنّها النسلة الطاهرة الميمونة وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمّة ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه .

فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء فأرسلن إليها : أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوّجت محمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له فلسنا نجئ ولا نلي من أمرك شيئاً فاغتمت خديجة عليها السلام لذلك فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهنّ من نساء بني هاشم ففزعت منهنّ لما رأتهنّ فقالت إحداهنّ : لا تحزني يا خديجة فانّا رسل ربّك إليك ونحن أخواتك أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنّة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم أُخت موسى بن عمران بعثنا الله إليك لنلي ما تلي النساء من النساء ، فجلست واحدة عن يمينها ، وأُخرى عن يسارها ، والثالثة بين يديها ، والرابعة من خلفها ، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهّرة .

فلمّا سقطت إلى الارض أشرق منها النور حتّى دخل بيوتات مكّة ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلّا أشرق فيه ذلك النور ودخل عشر من الحور العين كلّ واحدة منهنّ معها طست من الجنّة وإبريق من الجنّة وفي الابريق ماء من الكوثر فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية ثمّ استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين وقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ أبي رسول الله سيّد الأنبياء وأنّ بعلي سيّد الأوصياء وولدي سادة الأسباط ثمّ سلّمت عليهنّ وسمت كلّ واحدة منهنّ باسمها وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة عليها السلام وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك وقالت النسوة : خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكيّة ميمونة بورك فيها وفي نسلها . فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدرّ عليها فكانت فاطمة عليها السلام تنمي في اليوم كما ينمي الصبي في الشهر وتنمي في الشهر كما ينمي الصبي في السنة » . [بحار الأنوار] / الجزء : ٤٣ / الصفحة : ٢ ـ ٤

● وللدكتور الوائلي - طاب ثراه - قصيدة بهذه المناسبة نختم بها :

تجلّت شمــس هـدي في ضحاهـا * وأشرقــت المعالــم مـن سنـاهــا
وفـي دلـج السُّرى الحـادي تغنى * بمولـدها ، وفيــهـا الكـون باهــى
فــلا تحــف السـؤال خــلاك ذمٌ * عـن الشمـس التـي الحـادي عناهــا
وشعشـع نـورها فـي كـلّ منحــىً * وطـوّق فسحــة الدنيــا صداهـــا
* * *
هـي الريحانــة الـذاكـي شـــذاها * لسـر الطهـر مـولاهـا اصطفاهــا
هي الكنـز المصـون لكلّ جيــلٍ * مــن الإعجــاز بارينـــا براهـا
هـي المشـكـاة مشكـاة الـدراري * هــي القديسـة السامـي علاهـــا
هي الفحــوى لقامــوس المعــالي * هي الزهــرا البتــول فتـــاة طــه
وأيــــم الله لا تعطــى صفــات * كهــذي مـن بنــي الدنيــا سواهــا
يضيق الوصف عن حصر المعانـي * التــي فيهــا مكــوّنهـا حباهـــا
فمــن حــقّ المعالـي ان تباهــى * ببنـت كـــان هادينـــا أباهـــا

" زينب عليها السلام "

المعنى الحرفي لأسم الله (الصبور)

تُقسّم بعض العلوم العقلية الألفاظ (كلمات وعبارات) على قسمين من حيث المعنى :

الأول : الفاظ ذات معنى إسمي / ويشمل الالفاظ التي لها معنى بنفسها لا بغيرها ، كجميع الأسماء ، كما نقول مثلا (جبل _ أرض _ ماء) .. الخ ، فهذه الألفاظ وضعت وقُرنت بمعاني معروفة وتدل على أشياء محددة ..

الثاني : الفاظ ذات معنى حرفي / وتشمل الالفاظ التي ليس لها معنى بنفسها وانما هي عبارة عن روابط بين الفاظ القسم الأول أو قوالب لها ، وتشمل كل الحروف مثل (في _ على _ الى) فهذه الحروف لا يعرف معناها الا بالارتباط بغيرها من الاسماء ، وكذا تشمل هيئات الافعال والجمل .. مثل الفعل الماضي (ذهب) فصيغة الماضي (فَعَلَ) ليس لها معنى بنفسها ولكن عندما اصبحت قالباً لأسم - مصدر - (الذهاب) اصبح لها معنى وهكذا ..

أريد ان استفيد من هذه المعلومة في فهم ما يلي : كل ما في الكون ليس له معنى بنفسه وان المعاني الاصلية والمستقلة بنفسها حصرت بأسماء الله تعالى ، فأسماء الله الحسنى هي فقط الألفاظ ذات المعاني الأسمية ، ولا نقصد هنا المعاني اللغوية التي تقتصر على الدلالة فقط وانما نقصد ما وراء ذلك ، اي ماله قيمة ووزن سامي وعالي في عالم المعنى ..

أمّا الكون بما فيه من موجودات ومخلوقات ، شمس وقمر ونجوم وأرض ونبات وإنسان وحيوان ... الخ ، فأسماء هذه الموجودات كلّها عبارة عن قوالب - معاني حرفية - لأسماء الله الحسنى ، وإن لم تكن كذلك فليس لها اي معنى حقيقي ، فالشمس والقمر تجلّيان لنور الله ، والجبل لقوة الله والنار لغضب الله .. الخ ، وكما قال الشاعر (وكل شيء ما خلا الله باطل) ..

ولعل جميع الموجودات ممكن أن تصبح مظهراً لأسم او إسمين من اسماء الله الحسنى الا اهل البيت ع فهم مظهر لجميع اسماء الله الحسنى ، في الكافي : (عن الحسين بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى جميعا ، عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان بن مسلم، عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا) .

أمّا زينب عليها السلام ، فكانت لها الحصة الأكبر من أسم الله (الصبور) ، صبر زينب ، صبرٌ جميل ، وكيف لا وهي القائلة « والله ما رأيتُ إلّا جميلاً » ردّاً على سؤال ابن زياد لها : كيف رأيتِ صُنْعَ الله بأخيك ؟

حياة (زينب ع) بعد أخيها

تتويجاً لإستحقاقات الطف الخالدة

تكاد تكون حياة السيدة زينب ع بعد مصرع أخيها في عرصات كربلاء نسخة ثانية لحياة أمها الزهراء ع بعد وفاة أبيها رسول الله ص واله ، فالدور هو الدور الذي أدّينه بنات النبوة والرسالة والوحي في نصرة الحق وتحمّل المسؤولية وبذل غاية المجهود رغم عظم المصيبة وثقل الحمل وقساوة الألم والجراح .. فإذا الزهراء قد أحرق القوم بابها فإن العقيلة قد أُحرقت خيامها ، واذا الزهراء قد عاشت غربة ووحدة بعلها أمير المؤمنين ع عند اجتماع الناس على الغيّ والباطل فإن زينب ع عاشت غربة أبي عبد الله ع في الطف ، وأي غربة ..!!

شاءت الإرادة الإلهية أن يكون تتويج انتصارات الطف على يد العقيلة الطاهرة ، فنهضت بدورها وقامت بجهادها خير قيام ، قلبت على القوم أفراح انتصارهم - الموهوم - الى أتراح ، وأعادت موازينهم المقلوبة التي يضللون الناس بها في النظر الى الأمور الى نصابها الصحيح ، وضعت النقاط على الحروف وبيّنت الحق وأشارت الى الباطل وفضحت بني أمية ومن تابعهم وشايعهم وردت كيدهم الى نحورهم سواءً في الكوفة أم في الشام ..

ينقل السيد المقرم عن (الكامل في التاريخ) للمبرد (ج 3 ص 145) : قوله : " لقد أفصحت زينب بنت علي وهي أسن من حمل الى ابن زياد ، وأبلغت ، وأخذت من الحجة حاجتها " .

اما أهانتها ليزيد بن معاوية في الشام فأشهر من نار على علم في تواريخ المسلمين ، فنسمعها موبّخة له : (ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، وأستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرى ! ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء .. الخ خطبتها الشريفة) .

كان تتويج انتصار الطف على يد العقيلة عليها السلام ولا زالت هذه الانتصارات متتالية حتى يُعلن النصر الالهي على يد ولدهم الحجة الغائب عجل الله فرجه الشريف .

ولا بد من الإشارة الى أن للعفاف مفهومه الزينبي الخاص في الإسلام ، ففي الوقت الذي عاشته بكامل أحساسيها وهي تحت حجاب بيت أبويها علي والزهراء ع الى الدرجة التي لا يُرى لها ظل او يُسمع لها همس .. فإنها عاشته بتجربة أخرى بين أروقة خيام الطف ودخانها ، وبين أروقة قصور الظلمة وطواغيتها .. وفي كلا التجربتين رفعت من شأن المرأة في الإسلام الى أعلى درجات كماله وسموّه ..

زينب عليها السلام سيّدة العفاف

لا أريد أن اتحدث عن عفاف زينب عليها السلام الآنسة والسيدة ، فحين كانت في بيت أبيها توصف بفخر المخدرات ومن أجلها تُخفت الاضواء ليلاً لكي لا يرى لها شخصاً ولا ظلّا ، ولا عن زينب عليها السلام السيدة في بيت بعلها ومدينتها والتي كانت تعرف بعقيلة الطالبيين والعقيلة في معاجم اللغة تعني السيدة المخدّرة .

فكل ذلك يعتبر أمراً هيّناً نسبياً باعتبار الحياة الطبيعية التي تعيشها المرأة في بيت أبيها او زوجها وتستطيع عندها ان تطبّق أعلى مستويات العفّة من خلال دينها العالي وارادتها القوية ومساعدة اهل بيتها والقوّامين عليها ..

انما الكلام كل الكلام في عفاف زينب عليها السلام وهي سيدة خيام الطف حيث سنابك الخيول وتشابك الرماح واصطكاك الأسنّة ، وحيث انها ثكلى وموتورة ، لا حامي لها ولا مُعيل ، هنا العفة تُحسب كل درجة منها بالاف الدرجات من عفةّ غيرها من المَواطن .

زينب عليها السلام هنا بين واجب العفة وواجب القيام بالدور الرسالي ، ولكن مَن للخروج بأفضل الحلول من هذا التزاحم غير بنت النبوة ومعدن الرسالة ..!!

اتّبَعت زينب "ع " عدّة اجراءات حافظت من خلالها على اعلى مستويات العفاف وبشكل لا يؤثر على دورها في القيام الحسيني المقدس ، نذكر ثلاثة اجراءات مهمّة :

١ـ كانت "ع" اقوى من المصيبة واكبر من الحدث ، فلم تسيطر عليها الظروف ولا استملكتها الاحزان كما تصوّره لنا بعض الأشعار والأقوال التي تتحدث عن لسان الحال وما شاكل ذلك ، ولم تفعل عليها السلام ايضاً كما تفعل غيرها من النساء حال الحزن والجزع فنراها تعمد بيدها الى هتك بعض سترها تخفيفا للمعاناة ، بل هي التي قدّمت جسد أخيها قرباناً لرضا الله تعالى .. ! فلا انكسار ولا جزع ، بل كانت في قمّة التركيز على اداء دورها ومهمّتها التي آلت اليها ..

٢ـ لم تطبّق عليها السلام قاعدة الضرورات تبيح المحظورات ولم تسمح لنفسها ان تعمل بالاستثناءات والتي طالما توسوس النفس لصاحبها باستعمالها كاستغلال للفرص وارضاءً للهوى ، فإن يعذر الآخرون الشخص لتركه بعض السلوكيات

المحافظة للعفة نتيجةً لظروف طارئة نجد أنّ بعض الاشخاص لا يعطون لأنفسهم العذر في ذلك بل يزدادون تحفّظاً وعشقاً لحالة التحدي هذه بمقدار عشقهم للدرجات السامية والاخلاقيات الرفيعة .

٣. كانت جميع تصرفاتها عليها السلام تغلق عند الاخرين فرصة وخيار النظر اليها كامرأة او اي محاولة لاختراق عفّتها ، فبخطبها المملوءة بالعنفوان والايمان وحسن تصرفها وجلادتها استطاعت ان تتحجّب بحجاب فوق الحجاب التقليدي ، ولنقل أنها كانت اقرب الى شخصية تنكرية الى حد ما ، فيصفها ابن الاثير في الكامل عند دخولها للكوفة وحين ألقت خطبتها (لبست العقيلة أرذل ثيابها وتنكّرت) ، بل استطاعت ان تقترب من شخصية ابيها منطقاً وموقفا حتى وصفها اعدائها بأبيها وذكرتهم به عليه السلام كما فعلت أمها الزهراء ع حين خرجت للقوم فكانت حتى مشيتها لا تخرم مشية رسول الله ص كما يذكر لنا التاريخ ..

اذن لم يكن العفاف عند زينب عليها السلام مانعاً للمرأة في اداء بعض المهام الضرورية والتي ينحصر ادائها بها ، بل استطاعت ان تجعل من نفس هذا العفاف سلاحاً ناجحاً في اداء الكثير من الواجبات .

يذكر لنا القرآن الكريم بنات نبي الله شعيب ع وهن يؤدين مهمة ارواء الاغنام كون أبوهن شيخاً كبيرا ولكن مع المحافظة على عفتهن (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دونهم امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) فكانتا تذودان ، اي لا يدخلن اغنامهن مع القوم ولا يختلطن بهم حتى ينتهوا ويخرجوا من الماء حفاظاً على انفسهن وعفافهن ، الأمر الذي دعى موسى ع للقيام بهذه المهمة ومساعدتهن . وحتى عندما ارسل شعيب "ع" احداهن الى موسى عليه السلام فجاءت بهيئة يصفها القرآن بأنها على استحياء (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ) ، يعلق صاحب الميزان (والمراد بكون مشيها على استحياء ظهور التعفف من مشيتها) .

فالعفاف القرآني اذن لا يعيق المرأة في ظروف الحاجة والضرورة أن تقوم ببعض المهامّ ، وكذا العفاف الزينبي ، فهو انموذج لحالة من العفاف تكون عليها المرأة ملائم للظرف الذي تمرّ به وتستطيع من خلاله الارتقاء الى مستوى اداء المهامّ والمسؤوليات وتجاوز الظرف بأفضل صورة . السلام على زينب الكبرى سيّدة العفاف .

ليلة الحادي عشر من محرم

هل كانت زينب ع في أنس أم وحشة .. ؟

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ..

عادة الإنسان وطبيعته أنه يأنس بالأشياء (مطلق الأشياء) التي يطول تعايشه معها .. وتراه يشعر بفراغ كبير وإحساس بالوحدة والوحشة عند فقده إياها أو بعده عنها ..

وهذا الشعور بالفراغ والوحشه تتناسب زيادته ونقيصته طرديا مع عدة أمور من أهمها أمرين :

الأول : إذا كان المفقود أكثر أهمية وأوقع أثرا في عقل ونفس وروح الإنسان المفقود عنه ..

الثاني : إنعدام أو وجود المعادل الموضوعي عند المفقود عنه والذي يقوم بدور التعويض عن المفقود ويسد نقصه وفراغه ..

ولقد رسم الإسلام الحبيب عدة معادلات موضوعية للمؤمنين يستطيعون من خلالها مقاومة المصائب والنوائب التي تواجههم ومنها فقد الأحبة والإبتعاد عمن تأنس به الروح وتطمئن لقربه النفوس ، ومن هذه المعادلات الموضوعية :

1. المؤمن لا يشعر بالوحدة أبدا لأنه يشعر دائما إن الله معه ، ومن كان الله معه يستغني عن كل ماسواه ..

2. الإستئناس بالعبادة ، ومن أهمها الصلاة والصبر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) وقد يفسر الصبر هنا بالصيام وهو بلا شك أحد تجسيدات الصبر في الخارج ..

3. الإستئناس والتصبر بالثواب الجزيل والخير الكثير لمن استطاع اجتياز هكذا ابتلاءات بنجاح ، واليقين بأنه بعين الله وإن الله لا يضيع اجر من احسن عملا ..

4. تذكر الانبياء والاولياء والصلحاء وما مر بهم من مصائب وابتلاءات وعذابات كالقتل والسجن والتشريد والتعذيب .. الخ والتأسي بهم ..

الى غيرها من المعادلات الموضوعية النافعة التي أصلتها ودعت اليها شريعتنا المقدسة ..

تعالوا الى كربلاء ، ولنشاهد ماذا فعلت زينب عليها السلام عند فقد أخيها وإمامها الحسين ع وأهل بيته وأصحابه علاوة على أولادها الذين فقدتهم في طف كربلاء ..

هل كانت في أنس أم وحشه ..؟ وما هي البدائل التي ملأت بها الفراغات التي خلفتها كربلاء في نفسها وروحها وجميع تفاصيل حياتها الدينية والدنيوية ..؟

أقول : دفعت زينب ع وحشة ليلة الحادي عشر الرهيبة بعدة إجراءات قامت بها ونجحت عليها السلام وإلا لو استسلمت للمصيبة والوحشة لزهقت روحها (وهذا دليلي) .. فملأت فراغات كربلاء بعدة إملاءات ..

** فحولت زينب ع ثورة الحسين ع الى عمل عبادي قد أدته هي ، فلاحظ عبارتها عندما وقفت على جسد الحسين ع المقطوع الرأس والمرضوض الأضلاع : (إلهي تقدم منا هذا القربان) و (إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى) .. أصبحت زينب ع هي التي قربت قرابين كربلاء لله .. فتأمل ..!!

** باشرت بتعويض الجزء الأهم من الفقد والوحشة وهو الإمامة .. وحلت محل الإمام الحسين ع ولده الإمام السجاد ع .. وهذا راجع الى البصيرة التي إن تحلى بها الفاقد استطاع أن يجد هكذا معادلا موضوعيا ..

** الصلاة .. كانت عليها السلام في ليلة الحادي عشر قائمة بين يدي الله تصلي .. والرواية المعروفة عندما دخل الإمام السجاد ع عليها ووجدها تصلي من جلوس ..

** كان من أنسها تنفيذ وصية أخيها لها ، ابتداء من حسن العزاء ومرورا بحفظ العيال والأطفال وانتهاء بتحمل مسؤوليتها في ترسيخ مظلومية كربلاء في وجدان الأمة ..

** تأست بذكر مصائب أهلها .. فخطابها في محضر الطاغية (القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة) تصريح كامل بهذا المعادل الزينبي ..

لم يكن عندها وحشة .. فلقد إستأنست زينب ع بربها وعبادته وبمسؤولياتها التي تعددت وتشعبت .. فسلام على أم المصائب والرزايا .. وسلام على جبل الصبر ..

زينب (عليها السلام)

نموذج لجهاد المرأة في الإسلام

استطاعت العقيلة صلوات الله عليها أن تأخذ موقعا جهاديا قياديا متميزا في النهضة الحسينية المباركة ، ونستطيع وعلى وجه الإختصار والإقتضاب أن نقسم دورها في الطف الى دورين رئيسيين هما :

الدور الأول : يبدأ من تحرك الركب الحسيني من مكة واعلانه رفض بيعة يزيد (لع) وحتى استشهاد الإمام الحسين (ع) في كربلاء .

الدور الثاني : من بعد استشهاد الإمام (ع) الى رجوع ركب السبايا الى المدينة وحتى وفاتها عليه سلام الله ..

هذان الدوران لعقيلة الطالبيين يمثلان مراحل وأشكال الجهاد الزينبي والذي أعطتنا من خلاله نموذجا حيا وشرعة ومنهاجا لجهاد المرأة في الإسلام وهو دور حساس بالطبع ودقيق ويحتاج الى سعة أفق الباحث وقارىء البحث وهذا ما سنستعين بالله عليه فهو نعم العون لنا ولكم ان شاء سبحانه ..

أما التطرق لهذه الأدوار بشيء من التفصيل :

بالنسبة للدور الأول : ويبدأ هذا الدور من تحرك الركب الحسيني من المدينة وحتى استشهاد ابي الاحرار (ع) في كربلاء .. وتميز هذا الدور من جهاد العقيلة في النهضة الحسينية بعدة أمور :

الأمر الأول : إن خروجها مع الركب الحسيني المقدس ضيع الفرصة على ال أمية وأذنابهم من إتخاذ عائلة الحسين عليه السلام وأرحامه من النساء والاطفال خاصة رهائن لغرض إجبار الإمام على التراجع ..

الأمر الثاني : خروجها مع الركب أضاف تكليفا على المسلمين غير الوقوف بوجه الحاكم الظالم او نصرة الإمام وعدم جواز التخلف عنه .. وهذا التكليف هو الذب والدفاع عن حرم الرسول ص وذويه .. وهذا ما أشار اليه الإمام في كربلاء (الا من ذاب عن حرم رسول الله فيذب عنا) وبنفس الوقت أعطى أهمية إضافية للنهضة المباركة.

الأمر الثالث : أضاف وجودها مسحة حزن وأسى ولوعة على النهضة الحسينية من جهة وكشف عن دناءة وحقارة ووحشية جبهة ال أمية لما ارتكبوه معها ومع من رافقها من نساء واطفال من جرائم وتصرفات خسيسة .

الأمر الرابع : كان لها دورا مركزيا في الجبهة الخلفية لمعسكر الحسين ع (اي خيام المعسكر الحسيني) .. فقد كانت هذه الخيام مركزا للقيادة وبث المعنويات ومأوا للمقاتلين وعيالهم حيث كانت العقيلة عليها السلام صاحبة المهام الجسيمة فيها ...

الأمر الخامس : خروجها مع الإمام ع في كربلاء لا يختلف كثيرا عن خروج الزهراء للمباهلة مع نصارى نجران .. فتأمل

هذه شذرات مهمة من جهادها عليها السلام في هذه المرحلة من مراحل النهضة الحسينية المقدسة .. وأما أدوارها الجهادية في المرحلة الثانية فإنتظروها في المنشور القادم انشاء الله تعالى ..

اما الدور الثاني : فتميز هذا الدور وهذه المرحلة من جهاد العقيلة عليها السلام بعدة أمور :

الامر الاول : تحملت عليها السلام في هذه المرحلة العديد من المسؤوليات التي كان يحملها عنها الإمام الحسين ع ومن استشهد معه .. ويستفاد من بعض النصوص انها وصية الامام (ع) في كثير من الامور .

الامر الثاني : كان لها عليها السلام دورا كبيرا في حفظ حياة الإمام السجاد عليه السلام بعد واقعة كربلاء وبعد محاولات قتله في كربلاء والكوفة والشام .

الامر الثالث : كانت مصداقا للحديث الوارد (افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) فكانت خطبها كالصاعقة على أعداءها حيث فضحت سرائرهم السوداء وأصولهم الرعناء ومستقبلهم البائس وبنفس الوقت أصحرت عن نسبها وحسبها ونهضة أخيها وأهدافها ..

الأمر الرابع : كانت مصدرا لتوثيق النهضة الحسينية وكانت صلوات الله عليها من مؤسسي البكاء والحزن واللوعة على شهداء الطف.

الامر الخامس : مارست عليها السلام دور التحريض على الأخذ بثأر سيد الشهداء ع الامر الذي امر على اساسه يزيد لع بنفيها الى مصر حتى توفيت هناك (حسب بعض المصادر) .

فالسلام عليك ايتها المسبية والحوراء الإنسية ولا حرمنا الله كرامتك في الدنيا وشفاعتك في الآخرة .. ورحمة الله وبركاته

العفّةُ رأس كلِّ خير

أتينا إلى هذه النّشأة - الحياة الدنيا - لهدفٍ وحكمة ، وكيف لا يكون ذلك والخالق حكيمٌ مُطلق ..

والحكمة من هذه الحياة هي ما أقرّته الآية المباركة (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ، وأيّ عبادة ..! تلك التي لا يحتاجها المعبود البتة ، بل هي حاجة العابد الفقير في كل شيء لعبادة الغني في كل شيء .

عبادة الله تعالى مفهوم كبير لا ينحصر بتلك العبادات الاسلامية الواضحة والتي ركّزت عليها الشريعة كونها تمثّل خط الشروع العبادي والفيصل بين الكفر والايمان لدى الانسان ، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وما يقابلها من تروك .. وانما تتعدى العبادة وتتسع باتساع الله في هذا الكون الذي (وسع كرسيّه السموات والأرض) من جانب وباتساعه جلّ وعلا في النفس البشرية التي امتلأت بعلامات وجود الله ودلائله (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ) في الجانب الآخر .

تغليب العقل على الهوى وتقديم الله على الشيطان وأتّباع صوت الضمير الانساني وترك الشهوانية الغريزية والتعاطي مع هذا الكون بمقدّراته وجميع أبعادهِ بإتّزان وايجابية هو من المفهوم الواسع للعبادة التي أرادها الله منّا ولنا ..

والعفاف أو العفّة - موضوعنا في هذا المقال - يتسيّد كلتا المساحتين العباديتين معاً ، أي العبادة الرسمية الواضحة كما أسميناها ، وعبادة الله في الساحات الاخرى لهذه النشأة ، الآفاقية منها والأنفسية . ويتخذ مكاناً سامياً في كليهما ويتسع باتساعهما حتى اصبح العمل في كليهما تدور زكاته وتنقيته مداره ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام (بالعفاف تزكو الأعمال) ، وورد (العفّة رأس كلّ خير) .

ولهذا فإنّ مسؤولية العفاف باعتباره عبادة عظمى لله تعالى تتوقف زكاة باقي العبادات عليها لاتقع على المرأة وحدها - كما هو المعروف والمتبادر - ولا على الرجل وحده ، وكذلك لا تؤدّى هذه العبادة بصورةٍ فردية وانما لا تنهض بها الاّ الشعوب والمجتمعات البشرية بكامل طواقمها ، وتتكاتف كل هذه الجهود لتستطيع اداء هذه الفريضة الكونية المقدسة ..

العفاف يعني الترّفع عن كل ما يُسيء لإنسانية الإنسان والتجّمل بكل ما يقرّبه من أهدافه العليا ، والعفاف حكمة حياة ومنهج عبادة وفلسفة وجود .

مبارك لكم ولادة آيقونة العفاف المحمّدي ، العقيلة زينب بنت علي ابن ابي طالب في الخامس من جمادى الأولى ، طابت أعيادكم ..

العفاف
تركيبة دينية حضارية

لم يعد العفاف - بحسب مفهومه الواسع - دعوةً دينية فقط أو أنه مجرّد التزام شرعي وما شابه ذلك ، بل بات ضرورة حضارية تتوقف عليها مرافق حياتية مهمّة في الوقت المعاصر ..

أصبح العفاف بمعناه العام والذي هو (انتصار العقل على الهوى) يعمّ السياسة الدولية ويدخل في الاقتصادات العالمية ويؤثر على صناعة التكنولوجيا والتقنيات الحديثة وطبيعة استخدامها ، بات يشمل المذاهب والأيديولوجيات الفكرية ويتوسط الحواضر العلمية ، وهكذا يراد له الآن أن يضبط إيقاع الاسواق التجارية ويعطي معنى للأماكن الترفيهية والمرافق السياحية .. والقائمة تطول .

بهكذا حجم نستطيع ان نجعل العفاف ونصيّره مرهماً لأدواء وأمراض إنّ أُهملت فإنها ستفتك بكل تلك المجالات التي يرتادها الانسان المعاصر ويتعاطى معها المجتمع الحضاري الراهن ..

فإذا عفّ الحاكم المؤتَمن يَده عن المال العام ، وعفّ عن الزور لسان وقلم الإعلام ، وعفّ التاجر جيبه عن كسب السحت والحرام ، والقاضي في اطلاق الأحكام .. أزدهرت البلاد وصلحَ العباد ..

فما مؤسسات الرقابة والنزاهة والتفتيش والتدقيق .. الخ التي أصبحت جزءاً رئيسياً من نظام الدول وهيكلية مؤسساتها الا تأكيداً على كلامنا هذا في أهمية العفاف وانّه أضحى مطلباً حضارياً ملحّاً ومفصلياً ..

العفاف كفيل بإحداث توازن اقتصادي واجتماعي وسياسي وبيئي .. تعجز عنه أدق التدابير الدولية المتخذة وأعمق النظريات العلمية المطروحة .

والعفاف عبادة دينية وشعيرة يتخذها المتدين - في كل دين سماوي - وشعار ينادي به ويمشي بهدي رايته . فعن عليّ عليه السلام : (لكاد العفيف أن يكون ملَكاً من الملائكة) .

العفاف يقتل الهوى ويُعالج ضعف النفس البشرية ويقاوم هناتها ومواطن تخاذلها ، يكبت الشهوة ويُطفأ نار الغضب ويجمح الشره ويقوّم الطمع ويضع من نفس المتكبر ويُرجع المغرور الى رشده ، حتى ورد أن (العفة رأس كل خير) ..

والله هو الموفق لكل خير

حجابٌ ليس كالحجاب

تُوجّه بعض المفاهيم للأسف الشديد إلى معان ضيقة وتُحصر بأشكال خارجية محدودة بسبب تحديث الإصطلاح أو تسمية الجزء بإسم الكل أو التسمية بالكناية والإستعارة وما شاكلها .. مما يوجب ظلم المفهوم ودلالات ألفاظه التي وُضعت له ..

ومنها الحجاب ، فقد جُرّد هذا اللفظ من مفهومهِ الواسع والشاسع حتى ضُيّق في وصلة القماش التي تضعها بعض النساء على رأسها لتغطية شعرها ..!!

ونريد من هذه المقالة أن نحرر الحجاب من هذا المعنى الضيّق ونطلق له العنان لكي يعود إلى أصلهِ ووطنهِ الأمّ مختارين من حجاب المرأة أشكالاً أخرى غير تقليدية بل غير متوقعة أحيانا .. ومنها :

* الزوج حجاب المرأة : قال تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ) .. فالزوج والزواج من أهم أستار المرأة حيث يساعدها على العفة ويجعلها تقوم بتفريغ بعض تصرفاتها الطبعية لزوجها وبيتها كالعاطفة وحب إظهار الزينة .. الخ

* التقوى : قال تعالى (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) .. فتقوى الله هي الخامد الحقيقي لكل الشهوات والنزوات الخارقة للتعفف والتستر ..

* الحجاب التنّكري : بعض النساء العفيفات يعمدن إلى تضخيم الصوت مثلاً أو تغيير طريقة مشيها أوتغيير بعض الحركات الخاصة بالنساء عند الحضور او الظهور أمام

الرجال الأجانب تعففاً واحتشاما ، فلقد نصح القرآن الكريم نساء النبي فيما يخص الصوت (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) . وينقل لنا التاريخ أن الزهراء ع في خروجها إلى القوم بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه أن مشيتها ع كانت لا تخرم مشية أبيها ص (أي تشبهها تماما) وصوتها صوت الرسول ص وأحسب أن هذا من الحجاب الفاطمي الذي تعمدته عليها السلام ..

* الليل : قال تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) ، وحقا أن بعض النساء اتخذن من الليل لباسا وسترا كي لا يرى لها شخصا ولا ظلا .. ومن هذه النساء السيدة زينب ع والتي كان خدرها حديث أهل الكوفة ، فلم يسمعوا لها صوتا ولم يروا لها شخصا ولا ظلا لأنها كانت لا تخرج إلا ليلا وبعد اخفات ضوء الفوانيس .. !!

فعلينا أن نفهم الحجاب فهما منسجما والأغراض التي أريدت منه والمصالح التي تترتب على نتائجه ..

المرأة في الإسلام
وشهادات غربية منصفة

الإسلام ينطلق من الواقعية ليكون ديناً قادراً على سد حاجات البشرية الى نهاية وجودها على هذه الأرض ، فرغم مداراته للظروف المؤقتة في بعض أحكامه المرحلية إلا أن قاعدة وملاكات أحكامه الأساسية تتعامل مع الأمور بنصابها الطبيعي بغض النظر عن مدى قناعة واستجابة الآخر بها ..

ولعل منظومة أحكام المرأة من أوضح تلك الأحكام التي وُضعت على أساس واقع المرأة التكويني الذي لا يتغير بتغير الزمان ولا المكان ولا الحال .. فلقد صمم الإسلام تلك المنظومة وهو ناظر الى جانبين مكونين للمرأة :

الجانب الأول / إنسانيتها ، فهي تتساوى مع الرجل في هذا الجانب ولا تختلف عنه قيد أنملة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ..

الجانب الثاني / أنوثتها ، وهنا تختلف عن الرجل في بعض الأحكام التي لا يمكن إغفال الجنس الأنثوي وما يلازمه من صفات في تشريعها ، فتارة تكون هذه الأحكام عبادية (كإختلاف حكم الجهاد بينهما) أم اقتصادية (كحكم النفقة بين الزوجين) أم اجتماعية (كإختلاف مساحة الحجاب بين الاثنين) .. الخ

فلقد حفظ الإسلام مكانة المرأة وشرّع لها حزمةً من القوانين في كل مرحلة من حياتها (بنت _ زوجة _ أم _ أخت ..) وبما يضمن أعلى وأرقى مستويات الحياة الكريمة والمحترمة ، على عكس ما يُشاع هنا وهناك من أن الإسلام حطّ من كرامة المرأة ، وهذا الشيء نعزوه تارة الى الجهل وتارة الى الدجل ..

الا ان الكثير من الشخصيات الغربية المهمة قد أنصفت تشريعات الإسلام للمرأة وشهدت بعدالتها ، فمنها :

+ يقول (روجيه كارودي): "إذا قارنا قاعدة القرآن بقواعد جميع المجتمعات السابقة، فإنها تسجل تقدمًا لا مراء فيه، ولا سيما بالنسبة لأثينا، وروما؛ حيث كانت المرأة قاصرة بصورة ثابتة" (المرأة والأسرة المسلمة د. عماد الدين خليل 39) ويضيف قائلاً: "في القرآن تستطيع المرأة التصرف بما تملك، وهو حق لم يُعترف لها به في معظم التشريعات الغربية، ولا سيما في فرنسا إلا في القرن التاسع عشر، والعشرين، أما في الإرث فصحيح أن للأنثى نصف ما للذكر، إلا أنه بالمقابل تقع جميع الالتزامات لا سيما أعباء مساعدة أعضاء الأسرة الآخرين على عاتق الذكر، المرأة معفاة من كل ذلك، والقرآن يعطي المرأة حق طلب الطلاق، وهو ما لم تحصل عليه المرأة في الغرب إلا بعد ثلاثة عشر قرنًا".

+ المستشرق الفرنسي (در منغم): "فمن المزاعم الباطلة أن يقال: إن المرأة في الإسلام قد جردت من نفوذها زوجة وأمًّا، كما تُذم النصرانية؛ لعدها المرأة مصدر الذنوب والآثام، ولعنها إياها، فعلى الإنسان أن يطوف في الشرق ليرى أن الأدب المنزلي فيه قوي متين، وأن المرأة فيه لا تحسد بحكم الضرورة نساءنا ذوات الثياب القصيرة، والأذرع العارية، ولا تحسد عاملاتنا في المصانع وعجائزنا، ولم يكن العالم الإسلامي ليجهل الحب المنزلي، والحب الروحي، ولا يجهل الإسلام ما أخذناه عنه من الفروسية والمثالية والحب العذري" (المرأة والأسرة المسلمة 41 نقلاً عن: كتاب حياة محمد 331).

+ويقول المفكر الفرنسي (كوستاف لوبون): "فضل الإسلام لم يقتصر على رفع شأن المرأة، بل نضيف إلى هذا أنه أول دين فعل ذلك" (المرجع السابق 42). ويقول (كوستاف لوبون) عن مبادئ المواريث كما نص عليه القرآن بأنها: "بالغة العدل والإنصاف، ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية، أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات اللائي يزعمن أن المسلمين لا يعاشروهن بالمعروف، حقوقاً في المواريث لا تجد مثلها في القوانين"، ويصف حالة النساء المسلمات الحاضرة بأنها "أفضل من حالة أخواتهن في أوروبا، وأن نقصان شأنهن حدث خلافًا للقرآن، لا بسبب القرآن على كل حال.. إن الإسلام الذي رفع المرأة كثيرًا بعيدٌ عن خفضها، ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي، فقد سبقنا إليه كثيرون"، ويتحدث ويقول عن حقوق المرأة: "أفضل كثيرًا من حقوق الزوجة الأوروبية،

فالزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة فضلاً عن مهرها، وعن أنه لا يطلب منها أن تشترك في الإنفاق على أمور المنزل، وهي إذا أصبحت طالق أخذت نفقته، وإذا تأيمت كذلك". ويقول (لاينتز): "إن للمرأة المسلمة مركزًا شرعيًا أفضل من مركز المرأة الإنجليزية بكثير". وتوسع (ايفلين كوبولد) دائرة المقارنة فتقول: "إن حرية الإسلام أوسع وأفضل من حريتها عند غيره من الأمم والجماعات" (المرجع السابق 56، نقلاً عن: كتاب البحث عن الله).

سيأتي اليوم الذي تكون فيه المرأة السر الذي يحل أكثر وأكبر مشاكل البشرية عندما تخضع الأرض تحت راية الإسلام وبقيادة محمد وآل محمد ..

وغيرها كثير ..

عفاف الفكر أولى من عفاف السلوك

عندما تجد شخصاً عفيف النفس ومترّفعاً عن سفاسف الأمور ومراقباً لعفة نفسه في المأكل والملبس ، في النظر والمنطق ، في سائر أفعاله وتروكه فاعلم أنّ هذه العفّة السلوكية هي نتيجة لعفّة فكره وصحة نظرته للأمور وسلامة معالجاته العقلية للقضايا .

فخَلْق النّفس اللوامة أولى من مصارعة النفس الأمّارة ، لأنّ الامّارة قد تغلبها مرّة أو مرتان ولكنك ستعجز في الثالثة ..!! وكذا العقل فإذا أردت منه أحكاماً سامية فعليك أنّ تغذّيه بالقوانين العالية المستوى في كل المجالات ، فلا يُجنى من الشوك العنب كما ورد ..

ولهذا تعجبني الحكمة التي تقول ناصحةً للمرأة (فكري كرجل وتصرفي كإمرأة) ، فهي تعطي أقصر طريق عفّة للمرأة وأبسط برنامج عمل ، فالزهراء ع تحجّبت من الأعمى لأنها فكّرت بعقل رجل وعرفت أن ريح المرأة يجذب الرجل ، فكان عفاف فكرها سابق على عفاف سلوكها ..

فكل إنسان عندما يفكر بتفكير انسان محترم (قائد ، عالم ، رجل دين ..الخ) فإنه سوف يتصرف تصرفاتهم ويجد نفسه محترماً مثلهم بينما لو فكر بتفكير من هانت عليه نفسه فستجده من أهون النّاس وأدناهم مرتبة .. ومن هذا الإعتبار قلنا أن عفاف الفكر اولى من عفاف السلوك .

وللفائدة ايضاً نقول انك اذا اردت توجيه الموعظة والنصيحة لشخص ما فبادر من هذه الزاوية وحرك عنده الشعور بالتفكير العالي واشعره بأنه ذو قيمة عالية ،

وهذا اسلوب قرآني ، فلقد خاطب الله تعالى الانسان من زوايا سامية فيه لتأخذ الموعظة منه مأخذها ، قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) ، فهذه الآية تأمر الانسان وبأسلوب لطيف ان لا يكون كالبهيمة في تصرفه مثلاً ... وهكذا

حجاب المرأة في الإسلام

مفهوم الحجاب في الإسلام أوسع من كونهِ قطعة من قماش تغطّي بها المرأة شعرَها او جسَدها ، ومن الخطأ حصره بذلك ، ومن السذاجة أن يُنظر له كتقييد للحرية الشخصية أو ما شاكلها ، وهذه النظرات غير الصحيحة للحجاب ناتجة عن الخطأ في فهمه وعدم الاطّلاع على فلسفته وتعدد أشكاله في الاسلام .

الحجاب هو أحد مفاصل منظومة التحصين والوقاية المجتمعية في الإسلام ، وهو جزء من إجراءات تعزيز المناعة داخل جسد الأمة من مختلف الأمراض النفسية والعقلية والروحية ..

معنى الحجاب لغةً : الحائل الحاجز المانع عن تلاقي شيئين أو أثرهما ، سواء كانا ماديّين أو معنويين أو مختلفين ، وسواء كان الحاجب ماديّاً أو معنوياً (التحقيق في كلمان القرآن الكريم ، مادة - حجب -) ، ومن هذا المفهوم اللغوي يمكن ان ننتزع المفهوم الاسلامي ، فهو في عمقه حائل ومانع من السقوط في المحذور ..

فالزواج مثلاً يُعتبر من أهم أشكال الحجاب في الإسلام ، والزوج هو الحجاب الشرعي لزوجته وكذا الزوجة بالنسبة لزوجها ، قال تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ) ، بهذا التعبير الدقيق يُعبّر القرآن المجيد : (هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن) ، يقول صاحب الميزان (الظاهر من اللباس معناه المعروف ، وهو ما يستر به الإنسان بدنه ، والجملتان من قبيل الإستعارة فإن كلاً من - الزوجين - يمنع صاحبه عن اتباع الفجور وإشاعته بين أفراد النوع فكان كل منهما لصاحبه لباساً يواري به سوأته ويستر به عورته) ..

وللصوت حجابه في الاسلام ايضاً ، قال تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا

) ، وتخضعن بالقول هو ~ ترقيق الكلام وتليينه مع الرجال بحيث يدعو إلى الريبة وتثير الشهوة ~ ، فكما أن بعض أجزاء الجسد عورة فكذلك بعض مستويات الصوت وطرق أدائه عورة ايضا ..

الحجاب في الإسلام لا يحرّم الزينة على المرأة سواء كانت الطبيعية (الخلقية) منها او المكتسبة وإنما يقنن هذه الزينة ويمنع ابتذالها ويرسم لها حدودها ومساحتها التي ينبغي ان ينحصر ظهورها بها ، قال تعالى (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ..

الحجاب احياناً كثيرة يكون درعاً للمرأة من سهام ونبال مؤذية توجّه اليها ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) فبيّنت الآية صراحةً الحكمة بقولها (فلا يؤذين) ، في الميزان (أي لا يؤذيهن أهل الفسق بالتعرض لهن) ..

من هذا التعدد وغيره نفهم ان الحجاب هو مفهوم ينطبق علىّ كل ما يحفظ المرأة من اذى مرضى القلوب وضعاف النفوس ، والحجاب هو كل ما يرفع من قدر المرأة ويمنع ابتذالها ، والحجاب هو كل ما يجعل من زينة المرأة مُلك لا يحق لكل أحد استعماله او التصرف به .. لنلتزم جميعاً بالحجاب الإسلامي ولننتظر النتائج ولنقتطف الثمار

الزوجة العدوّ

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ } .. التغابن ١٤

عداوة بعض الزوجات لأزواجهن من الظواهر الإجتماعية التي أثبتها القرآن المجيد ، وكما نرى أنه جاء التعبير صريحاً في الآية الكريمة أعلاه على الرغم من أن التفسير الوارد عن أهل البيت عليهم السلام لهذه الآية كما في تفسير القمي برواية أبي الجارود عن الامام الباقر ع : .. أن الرجل كان اذا أراد الهجرة الى رسول الله صل عليه واله تعلّق به ابنه وامرأته وقالوا : ننشدك الله أن تذهب عنا وتدعنا فنضع بعدك ، فمنهم من يطيع أهله فيقيم ، فحذرهم الله ابناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم .. الرواية ، ومن التفسير نفهم أن الآية تسمّي منع الزوجة زوجها من ان يمارس واجباته الدينية عداوة ..! فتامل

وقد ابتلى بعض الانبياء عليهم السلام بزوجات كان ميلهنّ الى اعداء أزواجهن ، كنوح ولوط ، قال تعالى : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ } .. والاية هنا تتحدث عن الخيانة الدينية وخيانة الرسالة التي جاء بها ازواجهن وليس خيانة البغي والفُحش - العياذ بالله - ..

والزوجة العدوّ مما ابتلى به بعض ائمتنا عليهم السلام ايضا ، كالامام الحسن والامام الجواد عليهما السلام اللذان تجاوزت عداوة زوجاتهما لهما الى التعاون مع مَن نصب العداوة لهما بحيث استعملهن في دسّ السمّ والتورط بقتل إمام معصوم ..!!

ولعل السؤال الذي يقفز الى الذهن انه كيف يختار الانبياء والائمة وهم المعصومون المسددون هكذا زوجات ..!!

ومما يمكن قوله هنا ان الانبياء والائمة لديهم الدراية الكافية على اختيار الزوجة الصالحة ، بدليل زوجاتهم اللاتي انجبن الانبياء والائمة من أولادهم ، ولطهارتهن ومقامهنّ استحقنّ ان يكونن وعاءً لأشرف ما خلق الله تعالى .. الا ان الظروف المحيطة تحتم احياناً على الاقدام على هكذا خطوة لمصلحة يراها المعصوم ، كإكراه الامام الجواد ع من زواجه من - ام الفضل - بنت المأمون بمكيدة مأمونية جديدة غير خدعة ولاية العهد هدفها إيهام العامة والحدّ من ثورات العلويين ، فأجبر الإمام من هذا الزواج بحجة أن المأمون يطمع في أن يكون جدّاً لحفيد من نسل علي بن ابي طالب ، ولكن خاب مسعاه فيما أراد ولم تنجب هذه اللعينة من الامام الجواد ولدا ..

وقد تكون الزوجة العدوّ نوع ابتلاء وامتحان يبتلى به الصالحون ، وهذا ما تشير اليه تكملة الاية التي تصدرت هذا المقال : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ..

فوعد الله على العفو والصفح غفران ورحمة .. فتدبر ..